ولام التعريف في (الكتاب) لتعريف الجنس أي إنزال الكتب وهو ينظر إلى قوله أنفا (وقل آمنت بما أنزل ا من كتاب) .

والباء في (بالحق) للملابسة أي أنزل الكتب مقترنة بالحق بعيدة عن الباطل .

والحق : كل ما يحق أي يجب في باب الصلاح عمله ويصح أن يفسر بالأغراض الصحيحة النافعة .

والميزان حقيقته : آلة الوزن والوزن : تقدير ثقل جسم والميزان آلة : ذات كفتين معتدلتين معلقتين في طرفي قضيب مستو معتدل له عروة في وسطه بحيث لا تتدلى إحدى الكفتين على الأخرى إذا أمسك القضيب من عروته .

والميزان هنا مستعار للعدل والهدي بقرينة قوله (أنزل) فإن الدين هو المنزل والدين يدعو إلى العدل والإنصاف في المجادلة في الدين وفي إعطاء الحقوق فشبه بالميزان في تساوي رجحان كفتية قال تعالى (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) .

وجملة (وما يدريك لعل الساعة قريب) معطوفة على جملة (ا الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) والمناسبة هي ما ذكرناه من إيذان تلك الجملة بمقدر .

وكلمة (وما يدريك) جارية مجرى المثل والكاف منها خطاب لغير معين بمعنى : قد تدري أي قد يدري الداري ف (ما) استفهامية والاستفهام مستعمل في التنبيه والتهيئة . و (يدريك) من الدراية بمعنى العلم وقد علق فعل (يدري) عن العمل بحرف الترجي .

وعن ابن عباس كل ما جاء فعل (ما أدراك) فقد أعلمه ا به (أي بينه له) عقب كلمة (ما أدراك) فقد أعلمه ا به (أي بينه له عقب كلمة (ما أدراك) نحو (وما أدراك ما هيه نار حامية) وكل ما جاء فيه (وما يدريك) لم يعلمه به " أي لم يعقبه بما يبين إبهامه نحو (وما يدريك لعل الساعة قريب) (وما يدريك لعله يزكى) . ولعل معنى هذا الكلام أن الاستعمال خص كل صيغة من هاتين الصيغتين بهذا الاستعمال فتأمل .

والمعنى : أي شيء يعلمك أيها السامع الساعة قريبا أي مقتضي علمك متوفر فالخطاب لغير معين وفي معناه قوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) في سورة الأنعام .

" وبعيد قريب " كلمة لزوم غلب لأنه مؤنث غير وهو (قريب) ب (الساعة) عن والإخبار A E للتذكير باعتبار شيء كقوله تعالى (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) وقوله (إن رحمة ا قريب من المحسنين) وقد تقدم في سورة الأعراف .

(يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين أمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) يجوز أن تكون جملة (يستعجل بها) إلى آخرها حالا من (الساعة) . ويجوز أن تكون بيانا لجملة

(وما يدريك لعل الساعة قريب) لما تضمنته من التنبيه والتهيئة بالنسبة إلى فريقي المؤمنين بالساعة والذين لا يؤمنون بها فذكر فيها حال كلا الفريقين تجاه ذلك التنبيه . فأما المشركون فيتلقونه بالاستهزاء والتصميم على الجحد بها وهو المراد بقوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) والذين آمنوا بها يعملون لما به الفوز عندها ولذلك جيء عقبها بجملة (ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) كما سيأتي .

والاستعجال : طلب التعجيل وتقدم في قوله تعالى (استعجالهم بالخير) في سورة يونس أي يطلب الذين لا يؤمنون بالساعة من النبي A أن يعجل ا بحلول الساعة ليبين صدقه تهكما واستهزاء وكناية عن اتخاذهم تأخرها دليلا على عدم وقوعها وهم آيسون منها كما دل عليه قوله في مقابله (والذين آمنوا مشفقون منها) . وقد تكرر منهم هذا المعنى بأساليب ذكرت في تضاعيف آي القرآن كقوله (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) .

والإشفاق : رجاء وقوع ما يكره أي مشفقون من أهوالها وتقدم في قوله (وهم من خشيته مشفقون) . وإنما جعل الإشفاق من ذات الساعة لإفادة تعظيم أهوالها حتى كان أحوالها هي ذاتها على طريقة إسناد الحكم ونحوه إلى الأعيان نحو (حرمت عليكم الميتة) فهم يتوخون النجاة منها بالطاعة والتقوى أي فهم لا يستعجلون بها وإنما يغتنمون بقاءهم في الدنيا للعمل الصالح والتوبة